سألته بعد الظهر في اليوم الأول وقد كان للثوري خمسون دينارا يتجر له فيها ثم أخذ قال
في آخر مرة فيه فرقها على إخوانه وترك التكسب ويقال إنه فعل ذلك لما مات عياله
وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله إلا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم
على قدرهم ومعرفتهم بفضله كمعرفته فحينئذ يسيرهم بسيرته ويسقط عنه
التكسب لأجلهم لأنهم كهو في الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد
فعل ذلك جماعة من السلف وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم
وهؤلاء يرون ترك التكسب أفضل لأنه معلوم وبعضهم يرى أن سكون القلب مع وجود
المعلوم علة ولكن إذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه ولا ينقطع همه في حال
المعدوم فهذا هو المقام وتفصيل هذا في التوسط في المقال عندي أن العبد لا يفضل
بنفسه بعدم المعلوم كما لا يفضل بنفس القعود عن المكاسب وكذا لا يفضل بفقد
المعنى فقط من زهد أو رضى وإنما يوصف بالغنى لكن يفضل بحاله عن وقته في جميعه
فإذا كان ذو المعلوم أحسن معرفة وأقوى يقينا أفضل على من لا معلوم له ولا يكون سكون
القلب وطمأنينة النفس أيضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون
متعلقا بمعبوده ولا حالا لا يعطي فيه إلا أن الطمع في الخلق ويستثبت القلب مع وجود
معلوم الكفاية نقصان عند الكل وعندي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع
العدم أفضل وأعلى عند الجماعة فأما سكون القلب واجتماع الهم مع العيال فهو أفضل
أن ينفقوا عليه وهذا حال الأقوياء ولمن يقوى يقينه وأما اضطراب القلب مع وجود العيال
بلى كان للعالم أو للعيال بحكم الله فيهم بما نفذ فيه وقد خرج ضعاف اليقين عليه
وأما استلاب القلب مع حال الوحدة فنصيب من الرغبة موجودا إلا أن يكون عند الحاجة
المعلوم وفي حديث حبة وسواء ابني خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما
لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤوسكما فإن ابن آدم تلده أمه أحمر ليس عليه
قشرة ثم يرزقه الله بعد وقال للرجل الذي ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لأتتك
والرزق لا ينقطع عن العبد حتى ينقطع له علم الموت فحينئذ ينقطع عنه الرزق
الرزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة أي رزق الدنيا ولا آخر لهذا الرزق وقال
سهل رحمه الله لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه لم يستجب له ويقال له يا جاهل
أنا خلقتك ولا أرزقك وقال وقد سئل عن القوت فقال هو الحي الذي
لا يموت فقيل إنما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سألناك عن
الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسم فقال ما لك والجسم
دع من تولاه أولا يتولاه آخرا إذا دخل عليه علة رده إلى صانعه أما رأيت
الصنعة إذا عابت ردها إلى صانعها حتى يصلحها وقال الخواص وقد رويناه أيضا
عن سهل أن الله تعالى يبتلي على الخصوص العافية ويحوجهم إلى الخلق بالطمع فيهم

ويبلغني في قلوب الخلق المنع لهم في مدة ما في أيديهم ليرجعهم إليه فإذا رجعوا إليه بعثهم
فتاح من رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص أنهم إذا اشتهوا إلى
شيء حول ذلك الشيء وإذا سكنوا إلى عبد سلطه أو حرق قلبه وبينهم كيلا
يطمئنوا إليه أو يأنسوا به ويبقى مع سكونهم إليه وقد كان بعضهم إذا جاءه السبب
يعود يطلع إليه رده ومنهم من كان يخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وكان ذو النون
يتكلم على إخوانه في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخبز من أين فقال خذوا
بيده وانهضوا به إلى الصوفية حتى يعلموه أدبا وقد حكي عن معروف الكرخي رحمه
الله أنه ذكر له انقباض البشر عن الأسباب التي تفتح عليه فقال أنا ضيف بشر أقامني
الورع وأنا بسطتني المعرفة إلا أن معروفا كان لا يدخر إلا عند الحاجة ويدخر منه
ما لا بد له منه ويعمل في كل وقت بحكم ما يوجب الوقت وكان لا يدخر وكان يصبر لأنه
لم يكن يأمل التنفل من وقت الصلاة إلى صلاة أخرى كان إذا صلى صلاة الظهر يقول
للحجام اطلبوا لنا من يصلي العصر وكان يقول إنما أنا ضيف في دار مولاي إن أ
أطعمني أكلت منه ما أطعمني وإن أجاعني صبرت حتى يطعمني وقد كان سهل
يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحبس

ذكر الادخار مع التوكل

ولا ينفي الادخار مع صحة التوكل إذا كان مدخرا لله تعالى وفيه وكان ماله موقوفا
على رضا مولاه لا من حظ الحظوظ لنفسه وهواه وهو حينئذ من حقوق الله التي أوجبها
الله عليه فإذا رآها بذل ماله فيها والقيام بحقوق الله لا ينقص وقلما [illegible] الله
العبد بل يزيده علوا وقد روينا عن حسن المغازلي بعض أصحاب بشر بن الحارث قال
كنت عنده ضحوة من النهار فدخل كهل أسمر خفيف العارضين فقام إليه بشر قال
وما رأيته قام لأحد غيره قال ودفع إليه كفا من دراهم فقال اشتر لنا من الطيب
ما تقدر عليه من الطعام والطيب قال وما قال لي قط مثل هذا قال فجئت به
بالطعام فوضعته بين يديه فأكل منه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا
وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه بيده وانصرف
قال فعجبت من فعله ذلك وكرهته له فأخذ بيد بشر فبلوك ولا هو استأذنه فيه
فقال لي بشر بعد وقت لعلك أنكرت فعله إذ قلت نعم أخذ بقية الطعام عن غير
إذن فقال نعم هو فتح قلت لا قال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وإنما
أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار ولا غير ما هو حال من مقامه
قوة حال وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء إذا كان لله لطاعة مولاه وخدمته